الصعلوك ...

لجي دي موباسان

ترجمة الأستاذ أحمد عبد الرحمن

لقد عرف في حياته أياماً خيرا من هذه ، على رغم ما به من عاهة وبؤس . كان قد فقد ساقيه وهو في الخامسة عشرة من عمره حينما صدمته عربة في شارع فارني الكبير . ومنذ ذلك الحين وهو يطلب الصدقة ماضياً في الطرقات متنقلا بين الزارع متكئا على عكازيه اللذين جعلا كتفيه يرتفعان إلى ما فوق أذنيه ، فكانت هامته تبدو كأنها غائصة بين مرتفعين

وإذ كان طفلا لقيطا قد عثر عليه راع ببيت في نفق ، أمسية يوم الموتى فسماه متعمده بهذا السبب نيقولا توسان . ثم كانت تربيته مما يجود به أهل الخير فنشأ بعيداً عن كل ثقافة مجرداً عن أية معرفة ، قد جرى له هذا الحادث عقب شربه بعض أقداح من الزبيب قدمها إليه خباز القرية ، وكان أضحوكة بين الناس ثم غدا منذ ذلك الحين شريدا ، فأنه لم يكن يحسن عملا من الأعمال إلا أن يمد يده

كانت البارونه أثارى فيما مضى قد تركت له إلى جانب حظيرة الدجاج بالمزرعة الملاصقة للدار كوخا حقيرا مليئا بالقش ينام فيه . وكان هو واثقا في أشد الأيام مجاعة أنه واجد دائما كسرة من الخبز وكوبا من شراب التفاح في المطبخ . وكثيرا ما كان يتلقى بعض الدريهمات من السيدة العجوز تلقيها عليه من أعلى الدرج أو من نوافذ حجرتها . أما الآن فقد ماتت هذه السيدة

لم يكن يظفر بشيء في القرى . فلقد عرفه الناس جيد المعرفة وقد برموا به وعيوا بأمره منذ أربعين سنة وهم يرونه يتنقل ببدنه البشع وأثوابه المرقعة على اقدامه الخشبيه بين الخرائب والأنقاض ، ومع هذا فهو لم يكن يريد أن يبرح المكان . لأنه لم يكن يعرف على الأرض شيئا غير هذه الزاوية من البلد ، هذه القرى الثلاث أو الأربع التي قضى فيها حياته التعسة. لقد وضع حدودا للامكنة التي يزاول فيها مهنته . وما كان ليجاوز هذه الحدود التي قد اعتاد أن لا يعدوها ألبتة

كان يجهل ما إذا كان العالم يمتد إلى ما وراء الأشجار التي تحيط ببصره ، ولم يكن يسائل نفسه في هذا الشأن . وحينما كان الفلاحون يضيقون بملاقاته على أطراف حقولهم وحافات أنفاقهم كانوا يصيحون به : لماذا لا تذهب إلى القرى الأخرى بدلا من تنقلك هنا على الدوام ؟ لم يكن يجيرجواباً ، بل يبتعد عنهم وهو يشعر بنوع من الخوف المبهم من المجهول ، خوف البائس الذي يخشى أمورا كثيرة لا يتبينها ، كالوجوه الجديدة ، أو اللعنات ، أو النظرات المرتابة التي يرميه بها أناس لا يعرفونه ، أو الشرطة الذين يمرون بالطريق اثنين أثنين ، والذين كانت رؤيته اياهم تحمله بالغريزة على الامعان في الشجيرات الوحشية أو الاختفاء وراء كومة من الحطب

حينما كان يلحظهم من بعيد ، ويرى بريق ثيابهم تحت أشعة الشمس ، كان يجد للتوّ خفة غريبة خفة الوحش الذي ينشد الملاذ ويطلب النجاة . فينسلت من بين عكازيه ويسقط على الأرض كالخرقة ، ثم يتدحرج كالكرة ولا يلبث أن يتصاغر ويتضاءل كمنظر أورنب في جحرها وقد اختلطت أشكاله القاتمة بالأرض

ومع هذا لم يسبق أن كان له معهم شأن من الشئون . ولكنه كان يحمل هذا الشعور في دمه كما لو كان قد ورث هذا الخوف والمكر عن أبويه اللذين لم يعرفهما ألبتة

لم يكن له بيت يؤويه ، فلا سقف يغطيه ولا كوخ يضمه ولا ملجأ يحميه . كان في الصيف ينام في أي مكان. وفي الشتاء كان ينفذ إلى مخازن الغلال أو في زرائب الماشية بمهارة ملحوظة ، كان يبادر دائما إلى الفرار قبل أن يحس وجوده أحد . وكان يعرف الثقوب التي يمكن بواسطتها النفاذ إلى المنازل والأبنية . ولما كان طول استخدام عكازيه قد أكسب ذراعيه قوة غير عادية ، فقد كان يصعد متسلقا إلى سطوح الأهراء معتمدا على قوة راحتيه وحدهما حين يظل أحيانا أربعة أو خمسة أيام دون حركة حينما يكون قد جمع في تجواله مؤونة كافية

كان يحيا كوحش الغاب وسط الناس دون أن يعرف أحداً أو يحب أحداً . ولم يكن يترك في نفوس الفلاحين إلا نوعا من

الاذدراء الخالى من الاكتراث ، والبغض الذى يمازجه الأغضاء وقد لقب كلوش [1] لأنه كان وهو يترجح بين قدميه الخشبيتين أشبه بالناقوس وهو يترجح بين محوريه

وقد مضى عليه يومان لم يطعم فيهما شيئا ولم يمنحه أحد شيئا ، فقد ضاق به الناس جميعاً وأرادوا أن يفارقهم ويذهب عنهم

وكان الفلاحات يصحن به على أبوابهن حينما يرونه مقبلا من بعد : ألا تريد أن تذهب عنا أيها الوغد ، ألم أعطك قطعة خبز منذ ثلاثة أيام

فكان يدور على وتديه ، ثم يمضى إلى البيت المجاور حيث يستقبل كما استقبل فى الأول

وتصايح النساء من باب لآخر :

ليس من سبيل مع هذا إلى كفاية هذا المتبطل الكسول من الطعام طوال السنة

ومع هذا فان المتبطل الكسول كان فى حاجة إلى الطعام كل يوم

كان قد طاف فى شوارع سانتهلير وقارفى وبييت دون أن يربح سنتيما أو يحصل على كسرة من الخبز ، ولم يبق له من أمل إلا فى تورنولا ؛ ولكن كان عليه أن يقطع إليها فرسخين على الشارع الكبير ، وقد كان به من الاعياء ما لا يستطيع معه السير ، إذ كان خاوى البطن كما كان خاوى الجيب

ومع هذا فقد استأنف المسير

كان الوقت فى ديسمبر . وكانت ريح باردة تهب فوق الحقول وتصفر من خلال الاغصان اليابسة . وكانت السحب تتلاحق وسط السماء القاتمة الغائمة مغذة فى السير إلى حيث لا يعلم لها غاية ، والمعوه يسعى ببطء ناقلا عكازيه الواحد بعد الآخر فى جهد واعياء معتمدا على ساقه الملتوية التى بقيت له والتى تنتهى بقدم بشعة المنظر قد لفت ببعض الخرق البالية

ومن حين لآخر كان يجلس على حافة النفق ويستريح بضع دقائق . وقد ألقى الجوع فى نفسه الكثيفة المظلمة شعورا بالغم والحرج . ولم يكن يحمل إلا فكرة واحدة : وهى الأكل ، ولكنه لم يكن يعرف الوسيلة إلى هذا

وشعر بالألم والاعياء بعد مسير ثلاث ساعات على الطريق الطويل ولما بصر بأشجار القرية من بعد جد فى السير

وأجابه أول فلاح التقى به وسأله كلوش الصدفة

ها أنت لا تزال على حالك القديم ، ألبس من سبيل إذن إلى التخلص منك ؟

فابتعد كلوش وجعل يمر بالمنازل وينتقل من باب إلى آخر فيرده الناس ردا جافيا ويصرفونه دون أن يعطوه شيئا ، فيواصل مع هذا تجواله فى صبر واصرار ، فلا يحصل فلسا واحداً

ثم قصد إلى المزارع وجعل يعبر الطرق المبللة بالمطر ، وقد أخذ منه التعب ونالت منه المشقة حتى ما يستطيع أن يرفع عكازيه ولكنه طورد فى كل مكان فقد كان هذا يوما من هذه الأيام التى يشتد فيها البرد وتشيع فيها الكآبة فتنقبض لها القلوب وتضيق فيها الصدور وتظلم لها النفوس ولا تنبسط فيها اليد لاعطاء أو معونة

فبعد أن طاف بكل المنازل التى يعرفها قصد إلى حظيرة السيد (شيكيه) فاستلقى هناك فى زاوية نفق عند طوال الحظيرة ، وفك وثاقة كما كان يقال تعبيرا عن الكيفية التى كان يترك بها نفسه يسقط بين عكازيه بأن يدفعهما من بين ذراعيه . ومكث وقتا طويلا لا يتحرك ، وقد اشتد به الجوع وطغى عليه الألم ، ولكنه كان من البلادة والسذاجة بحيث لا يستطيع ادراك ما هو فيه من بؤس وسوء حال

كان ينتظر شيئا مجهولا ، فلقد اعترته تلك الحالة التى نجدها كثيرا فى انفسنا وهى حالة الانتظار الغامض لشىء مجهول . كان ينتظر فى هذا الركن من الحظيرة تحت هذا الجو القارس تلك الموتة التى يتوقعها المرء دائما من السماء أو من الناس دون أن يسأل نفسه كيف ولما ذا وعلى يد من ستبلغه ، ومر به عدد من الدجاج الأسود يبحث عن غذائه فى الأرض التى تطعم جميع الكائنات ، وبين اللحظة والأخرى كانت الطير تميل بمنقارها فتلتقط من الأرض حبة أو تصيب بعض الحشرات الدقيقة ، ثم تواصل بحثها البطىء الوئيد

وكان كلوش ينظر إليها دون أن يفكر فى شىء . ثم عرض له (وأحرى أن يقال إنه أحس من أن يقال إنه فكر أو قدر) أن احدى هذه الدجاجات يطيب اكلها إذا هى اصلحت وانضجت على النار

(١) كلوش بمعنى الجرس فى الفرنسية

وما اختلج فى نفسه قط أنه مقدم على سرقة ثم تناول حجراً كان على مقربة منه . ولما كان بارع اليد فقد اصاب للتو أقرب دجاجة منه . فسقطت على جانبها وهى ترفرف بجناحيها ، وفرت بقية الدجاج متحاملة على مخالبها الدقيقة ، وعاد كلوش فركب عكازيه ثم سار إلى حيث يأخذ القنيص بحركات اشبه بحركات الدجاج .

وما إن اقترب من الجسم الصغير الأسود وقد انتشرت على رقبته بعض النقط الحمراء ، حتى تلقى فى ظهره دفعة رهيبة أطارته عن عكازيه وأرسلته على الأرض إلى مسافة عشرة أقدام . وانقض السيد شيكه على السارق وقد اشتد به الغيظ وزاد به الغضب فأوسعه ضرباً . فكان وهو يضربه كالمطروق أو كمن به مس ، كان يضربه كما يضرب كل فلاح من سرقه أوسلبه شيئاً ، فانهال ركلا ولكما على المعوه الذى لم يستطع عن نفسه دفاعا .

وجاء أهل المزرعة بدورهم فاشتركوا مع السيد فى ضرب المتسول بما لديهم من الآلات ، حتى تعبوا من ضربه ، ثم حملوه إلى حظيرة الحطب فأودعوه فيها ريثما يرسلون فى طلب الشرطة .

ومكث طريحاً على الأرض وقد سالت دماؤه وأهلكه الجوع وأشرف على الموت حتى جاء المساء ثم تبعه الليل وأعقبه الفجر دون أن يطعم شيئاً . وأقبل اثنان من الشرطة عند الظهيرة ففتحا بشىء من الحذر إذ كانا يتوقعان مقاومة . فقد زعم السيد شيكه أن الصعلوك قد هاجمه وأنه لم يدفع عن نفسه إلا بجهد جهيد .

وصاح به الشرطى أن قف .

ولكن كلوش لم يقو على الحركة . وقد حاول أن يتحامل على عكازه فلم يستطع ؛ فظن الشرطة أنه يتصنع العجز ويلجأ إلى الحيلة وينوى شراً ، فأمسك به الرجلان المسلحان بعنف وشدة وحملاه بالقوة على عكازيه .

وأذهله الخوف ، هذا الخوف الفطرى فى نفسه من الحمائل الصفراء ، خوف الطريدة من الصائد . أوخوف الجرذ من القط . فبذل جهداً خارقا حتى استطاع الوقوف .

وأمره الشرطى بالسير ، فسار على مشهد من عمال المزرعة وهم يرمقونه جميعاً بنظراتهم فكان النساء يشرن إليه مهددات ، والرجال يتضاحكون ويسبونه ويحمدون الله أن وقاهم شره وأراحهم منه .

ومضى كلوش بين حارسيه ولايزال به رمق من حياة وفضل من قوة كان لابد منهما لكى يواصل السير إلى المساء ، واستغلق عليه الأمر واشتد به الانزعاج بحيث لم يستطع أن يفهم شيئاً مما نزل به . وكان المارة يقفون فى الطريق لمشاهدته ويتحدث الفلاحون عن لصوصيته ؛ وبلغوا قصبة القاطمة نحو الليل ، ولم يكن قد سبق لكلوش أن بلغ قط إلى هذا المكان ، فلم يكن يتصور ما وقع له ولا يفكر فيما عسى أن يحل به . وقد أصابه الوجوم واستولت عليه الدهشة لهذه الحوادث المباغتة وهذه الوجوه والمنازل التى لم يكن له بها عهد .

ولم ينطق بكلمة واحدة ، وما كان لديه ما يقوله إذ لم يكن يفهم شيئاً ، وقد مضى عليه سنوات لم يتحدث فيها إلى أحد حتى فقد على التقريب سهولة النطق ومرونة اللسان ، وكانت أفكاره من الغموض والاختلاط بحيث لا يمكن الإبانة عنها بالألفاظ وأودع فى سجن القرية . ولم يفرض الشرطيان أنه قد يكون فى حاجة إلى الطعام ، ثم تركاه إلى اليوم التالى .

ولكن حين جىء لاستجوابه فى الصباح المبكر وجد على الأرض طريحاً وقد أسلم الروح ، فيالفاجأة !

أحمد عبد الرحمن

إدارة البلديات — المبانى

تقبل العطاءات بادارة البلديات (بوستة قصر الدوبارة) لغاية ظهر يوم ٨ فبراير سنة ١٩٤٧ عن إنشاء عنبر اسطبلات بمبنى مخازن واسطبلات المحلة الكبرى وتطلب الشروط والمواصفات من الإدارة على ورقة دمغة من فئة الثلاثين مليما مقابل دفع مبلغ ١ جنيه ٥٠٠ مليم للنسخة الواحدة خلاف مصاريف البريد .

٦٦٥٤

الفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى فى الموسم الغنائى الكبير

تقـــدم الأوبريت الخالدة

العشرة الطيبـــة

علي مسرح حديقة الأزبكية ابتداء من ٢٣ يناير

زكى طليمات

مع كبار ممثلى الفرقة

اخراج زكى طليمات

حسين رياض

ألحان سيد درويش

فؤاد شفيق

المطربة شهر زاد

المطرب عبد الغنى السيد

المطربة بديعة صادق

«الرسالة» فى يوم الحداد الوطنى

تصدر الرسالة فى هذا العلاف القاتم مشاركة للأمة فى حدادها العام على ذكرى اتفاقية السودان التى اغتصب الإنجليز موافقتها عليها في مثل هذا اليوم من عام ١٨٩٩ . وهو يوم من أيام الاحتلال السود لا تزال الأمة تجاهد في دفع أوزاره أو تخفيف أضراره .

سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية

نشر الاعلانات فى الرسائل البرقية

إن الإعلان فى الرسائل البرقية المتداولة بين سكان القطر المصرى بأجمعه هو دعاية هامة واسعة النطاق قد هيأتها المصلحة للمعلن الذى يرمى إلى رواج أعماله وللتاجر الذى يبغى التوسع فى تجارته

وقد راعت المصلحة أن تكون أجور النشر فى هذه الرسائل زهيدة وفى متناول الجمهور فجعلت كل مائة ألف إعلان بثلاثين جنيهاً مصرياً وكل ربع مليون بسبعين جنيهاً وكل نصف مليون بمائة وعشرين جنيهاً فضلا عن تخفيض معين فى المائة إذا بلغ المراد نشره مليونا أو أكثر من الإعلانات

انتهزوا هذه الفرصة ولا يفوتنكم أن تحجزوا من الآن القدر اللازم لكم من هذه الرسائل .

ولزيادة الإيضاح اتصلوا : — بقسم النشر والإعلانات بالإدارة العامة بمحطة مصر .

مطبعة الرسالة